اقتراح حسناء
" بعض واجبات المرأة"

«بقلم حضرة الآنسة الفاضلة مريم خالد من دير القمر»

اليكِ نزف اليوم أبكار أفكـــــارِ	وتجرى بنا عيسى الخيال بأسفارِ
نحط رجال البحث فى مربد النهى	فنحن بغير العلم لسنا بتجـــــارِ
ورايانتا فى تى الدنى واجباتـــنا	ونحن لمجد الجنس أكبر أنصـــارِ
إذا قمتِ تبغين الحقوق التى لنـــا	علينا لذا اتمام واجب مخـــــتارِ
غفلنَ طويلاً غير أن سباتنـــــــا	تقضى فأبدلناه نحن بأسهـــــارِ

الموضوع جليل والبحث فيه متسع، والقلم عاجز عن الخوض فى مضمارهِ مليًا، ولو لم تكن جريدة الفتاة الغراء قد اقترحت البحث فيه لأحجمت عن ذلك عالمة أن آرائى فى هذا الشأن لا تذكر في حسب آراء من يحسب باعى عندهم شبرا غير أن الحقيقة بنت البحث، والبحث يشحذ الأفكار فيرد منها ما كان كليلاً، ويبقى للعرض ما كان قاطعًا وصقيلاً.

لقد أفاض الكتاب فى هذا العصر فى البحث فى شؤون المرأة من حيث مساوتها للرجل أو عدمها وأكثروا من تعداد فضائلها وحسناتها وترفع مقامها ووزناتها غير أن أكثرهم ضربوا عن ذكر واجباتها المتنوعة وأسلبوا ذيل المعذرة، على ذلك ومنهم وهو النذر القليل من جاهر بتعداد تلك الواجبات معلنًا شدة لزومها خصوصًا وأن النساء قد أفقنَ فى هذا العصر إلى ما هنَّ عليه.

ولما كانت المرأة مساوية للرجل من حيث مركزها ومقامها وأهميتها فى الهيئة الاجتماعية ومساوتها لهُ (غب الاستئذان من جنس الرجال) فى قواها العقلية، وكانت واجباتها مساوية لواجباته ومسؤليتها للعالم كمسؤليته، هذا إذا ضربنا صفحًا عن أن

عليها بقايا دين من العصور القديمة حينما كانت قليلة جداً بالنسبة لها فى العصر الحاضر، وهى لا تقوم إلاَّ بإتمام القليل منها فتكون مجموع واجباتها أعظم من مجموع واجباته.

وتختلف كمية واجبات المرأة بالنسبة إلى اختلاف الظروف من حيث الزمان وتقدم شعبها فى المدنية وسهولة وسائط امتداد المعارف عندهم، ومخالطة أهل القبيل الواحد ببعضه..... فإن المرأة فى القرون القديمة والمظلمة لم تكن لها من الحقوق ما تملكه الآن وعليه فإن واجباتها لم تكن مساوية لواجباتها فى العصر الحاضر لأن الواجبات تكون بالنسبة إلى الحقوق كما هو مقرر فى عرف علماء الفلسفة الأدبية ودارسيها. فواجبات المرأة فى بلاد الهند مثلاً لا تتعدى حدود إعداد الطعام والتزام الخدر، وهى إن كانت أرملة فبليتها طامة ومصيبتها عظيمة، إذ يوجه إليها كل اللوم والشتم والإهانة والاحتقار، فلا يستنظر من نساء تلك البلاد أن يبحثن فى أمر واجبات المرأة، وهى دون الطفيف ولكن أين هذا من واجباتها نحو رجلها وأهل بيتها، وكل من مازجهم من خدام وزوار وكذلك نحو أبناء جنسها فى بلادها وفى غيرها، وبالإجمال فإنها تتناول كل سكان الأرض ولكن على نسب مختلفة.

ولا ريب أن البحث فى واجبات المرأة نحو رجلها ونحو أهل بيتها كان حقه أن يترك للعقائل اللواتى اختبرنَ ذلك، فهن يوفين البحث حقه وعليهن مدار الكلام من هذا القبيل غير أنها رمية من غير رام فإن أصابت فعلى غير القياس، وإن لم تصب الغرض فلا يخلو الأمر من تقديم رأى أو إيقاظ فكر أو التنبيه إلى نقصٍ أو الإلماع إلى فضيلة.

وتقسم النساء على هذا النمط إلى قسمين: فالقسم الأول يشمل النساء اللواتى يتممنَ واجباتهن بغاية الدقة والنظام حسب عرف البلاد التى يقطنها، والقسم الثانى اللواتى أغفلن ذلك أو بعضه لاهيات بأمور لا طائل تحتها بل أنها بالعكس تحط من شأنهن وشأن من جاراهن على تلك الأمور.

ولما كانت المرأة شريكة الرجل فى حياته ومكملة النوع الإنسانى باتحادها مع زوجها، وكانت واجباتها العظمى متوجهة نحوه بحيث أن أدنى خلل فى إتمام تلك الواجبات يحسب ذنبًا لا يغتفر والعكس بالعكس، وعبرة المرأة فى سلوكها هذا إنما هو تأملها جليًا وإدراكها حق الإدراك أن معاملتها لزوجها يجب أن تكون نظير ما تستنظره منه إن لم نقل أعظم، فإن فعلت ذلك فنعم المرأة هى فهى ملاكة أو شيطانة فبحسب الاعتبار الأول نراها تجتهد فى سبيل إرضاءه إن كان فى تعزيته وقت هجوم جيوش الأحزان والمصائب وحلول الأكدار أو مدها إياه بالنصائح عندما يحتاج إليها وكذلك إن تتدبر جهة مسير سلوكه وطبعه فتجاريه عليه إن كان حسنًا وتجتهد بلطفها أن تحسنه إن كان رديئًا، وهى بفعلها هذا لا تطلب راحته فقط بل راحتهما كليهما مع كافة عائلتهما. وللنساء فى ذلك سابقات من جنسهنَّ من اللواتى عددن فى مصاف أبطال العالم وغدون قدوة لربّات العيال.

ومن المقرر فى عرف علماء نظامات الأمم أن العائلة هى ركن الأمة والبلاد، وأن الأمة ليست سوى مجموع عيال، فكما أنها هى مجموعها حسيًا، فكذلك تتألف منها أديبًا بحيث أن آداب الأمة تتوقف على آداب عائلاتها كما أن آداب العائلة هى مجموع آداب أفرادها، وهنا تظهر أهمية الزوجة فى حسن سلوكها واختبارها فى تنظيم بيتها على أسلوب يسرّ كل من عرفها.

فالرجل بتعرضه للأشغال العظيمة واندماجه فى سلك الهيئات التجارية والسياسية وغيرها يتعرض طبعًا لضيق الأخلاق وبكده وبشغله فى هذا العالم يبذل جهده لراحة امرأته وأولاده، فعليها إذًا أن تشاركه بكل أتعابه وأطوار حياته، وأن تهاجم جيوش الأحزان بلطفها وحنوها، فتطردها عنه إذ أن الله خلقها أكثر صبرًا وجلدًا منه، وهى ذات حاسات رقيقة لم يعهدها الرجل فى جنسه، فإن رأته متعبًا أو حزينًا، فعليها أن تتروى مزيد التروى فى معاملته، وإن تحترز من أن تخاطبه بكلام

قاسٍ أو تحدثه بحديث مكدر إذ أن ذلك يزيد فى تعبه، ولربما يؤول إلى نتائج أخرى لا يحسن تأتيها.

ومن النساء من يحملن رجالهنَّ أحمالاً شاقة فى البيت، ومثلهنَّ فى هذا مثل تلك التى جاء ذكرها فى جريدة الفتاة الغراء حيث قالت إن من واجبات الرجل أن يخدم المرأة حتى فى الخدمة البيتية، فعليه عندما يهب صباحًا من رقادهِ أن يعد لها الشاى أو القهوة وتكميل تنظيم البيت إلخ، وأن ما يكن ما جاء هناك على سبيل الهزل أو كان فى الظاهر رأى واحدة بين النساء غير أنه بالحقيقة يوجد نساء كثيرات ممن يبهظن أعناق أزواجهن بأمثال هذه الأعمال، مفرغات أوقاتهن للزينة والقصف تاركات أمر البيت فى خبر كان، صارفات النظر عن المستقبل. فمثل هذا الفريق لا يجب أن يحسب فى عداد الهيئة الاجتماعية، إنما هو ثقلٌ يجب طرحه حينما يمكن ذلك، وإنى أرى زيادة البحث فى هذا الموضوع تحصيل حاصل بعد أن كان تطفلاً واضحًا، فأتقدم إلى البحث الآخر، وهو كيفية سلوك المرأة نحو خدمها بدون تمييز بينهم إن كانوا رجالاً أو نساء، فأقول:

إنه لمن المعلوم أن النسب بين أفراد البشر قد تحددت بموجب شرائع طبيعية ونواميس أدبية، لا يمكن للإنسان أن يكسرها بدون أن ينال جزاءَه، وقد مرَّ على الناس عصور حينما كان الدرهم يبتاع لصاحبه حيوة ابن جنسه، غير أن تلك العوائد انتسخت وبوق الحرية قد رنَّ فى كل أنحاء العالم، وأصبح كل ما يمكنا شراءه من غيرنا محصوراً فى وقته وتعبه لا غير، بيد أن البعض من السيدات يتوهمن أن الخدام خلقوا لراحتهنَّ بكل الوجوه، ولا فرق عندهنَّ بين أن يعاملن الخادم بلطف أو بقساوة، إذ يملأ رؤوسهنَّ ذلك الفكر الباطل بأنهنَّ لم يبذلنَ دراهمنَّ لغيرهنَّ بقصد إراحته بل بالعكس، وهنا معظم الفرق بين بعض السيدات وبين البعض الآخر بحيث ينقسمن إلى فئتين، فلكتا الفئتين تستأجران الخدام لقضاء الحاجات وللخدمة، غير أن الأولى تفعل

ذلك فقط أما الثانية فتفعل ذلك وتزيد عليه أن تمسك حاساتهم الأمر الذى لا يقبله العقل، ولا تسلم به الطبيعة خصوصًا، وأن الخدمة لا تفيد العبودية فكل سيدة تفعل ذلك لابد أن ينفر منها خدمها، ولا يطيلون المكث فى خدمتها، فتقع فى صعوبة من حيث افتقارها إليهم وتجديدهم آونة بعد أخرى، وهى وإن لم تفرط فى هذا فإن سلكت فيه مسلكًا لطيفًا فلا يليق بها أن تفرط من الجهة الأخرى بحيث تتناول إلى مساواة خدامها بنفسها، لا من حيث الإنسانية بل يجب عليها أن تبقى لنفسها اعتبارًا عندهم وكرامة بحيث يجرون أمرها سريعًا بملء الطاعة. وعليها كذلك أن تكون مخاطبتها لهم مقرونة باللطف، وأن تبذل وسعها فى تهذيبهم خصوصا فى السلوك نحو ممن يأتى بيتها، وكذلك أن تلاحظ آدابهم قبل دخولهم خدمتها وذلك بواسطة الفحص عن ماضى حياتهم والنظر فى الشهادات المعطاة لهم إن خطًا وإن شفاهًا. لأنهم إن كانوا سيئ الأخلاق وفاسدى الآداب فقد يحدث أنهم باختلاطهم مع أفراد العائلة خصوصًا الصغار منهم قد يفسدون أخلاقهم الأمر الذى يكثر حدوثه فى بعض المواضع.

وعلى ربة البيت الفاضلة واجبات نحو خدامها أسمى مما ذكر، وهى أن تبث فيهم روح الشهامة والأمانة والدين، فيعود ذلك بالخير عليها وعليهم، وإنى أعلم أن كثيرات من السيدات لا يلتفتن إلى هذا الموضوع بعين الأهمية، غير أن أهميته تظهر جليًا لدى التأمل بها والبحث عن نتائج الإخلال فيه فى بعض العيال، ولا ريب أن المرأة مديونة لخدامها لسببين، أولاً كأناس مازجتهم وعاشوا تحت عنايتها وتحت سقف بيتها. وثانيًا كأبناء جنسها أو كما يحدث أنهم يكونون غالبًا أبناء وطنها أيضًا، فواجباتها نحوهم عظيمة، وإن لم تكن كذلك فى الظاهر، وماذا يضرّ بالمرأة يا ترى أن تكلم خدمها بلطفٍ أو أن تدعوهم بأسمائهم عوضًا عن استعمال بعض ألفاظ تكره الآذن سمعها مثل ولى. ولك... يا بنت... ويا ولد...إلخ.

كلام اللطف يفرح كل قلبٍ ويجعل أرضنا هذى سماءَ